

الفصل الثاني

مَجَالَاتُ الصَّبْرِ فِي الْقُرْآنِ

وللصبر في القرآن مجالات كثيرة يجمعها أحد أمرين : إما حبس النفس عما تحب ، أو حبسها على ما تكره . ولهذا الإجمال تفصيل في كتاب الله تعالى .

١- الصبر على بلاء الدنيا

فهناك الصبر على بلاء الدنيا ونكبات الأيام . وهذا ما لا يخلو منه برٌّ ولا فاجر ، ولا مؤمن ولا كافر ، ولا سيد ولا مسود ، لأنه راجع إلى طبيعة الحياة ، وطبيعة الإنسان ، وما رأينا أحداً يسلم من آلام النفس ، وأسقام البدن ، وفقدان الأحبة ، وخسران المال ، وإيذاء الناس ، ومتاعب العيش ، ومفاجآت الدهر .

وهذا ما أقسم الله على وقوعه حين قال : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

وهذا النوع من الصبر هو الذي لا يخطر ببال الكثيرين غيره ، ويمثله في القرآن صبر أيوب على مرضه وفقد أهله ، وصبر يعقوب على فراق ولديه (يوسف وأخيه) وكيد أبنائه وكذبهم عليه .

وسنعود لتفصيل ذلك عند الحديث عن النماذج أو الشخصيات الصابرة في القرآن .

٢- الصبر عن مشتبهات النفس

وهذا مجال آخر من مجالات الصبر ، هو الصبر عما تشتهيه النفس ، ويميل إليه الطبع ، من متاع الدنيا وزينتها وشهواتها ، التي يسوق إليها الهوى ، ويزينها الشيطان .

(أ) وهنا نجد فى هذا المجال الصبر عن الاستجابة لمتاع الحياة الدنيا وزينتها إذا أقبلت على الإنسان . وتبدت له كالحساء اللعوب ، فهذا لون جديد من الابتلاء .

إنه الابتلاء بالسراء لا بالضراء ، وبالغنى لا بالفقر . وقد قال تعالى : ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (الأنبياء: ٣٥) ، وقال : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ (الفجر: ١٥، ١٦) فجعل الإكرام والتنعيم ابتلاء ، كالتضييق فى الرزق سواء .

والمؤمن محتاج إلى الصبر عن ملاذ الدنيا ، فلا يطلق لنفسه العنان للجري وراء شهواتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك فيها ، أخرجته ذلك إلى البطر والطغيان . .

ولهذا قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن ، والعوافى (جمع عافية) لا يصبر عليها إلا صديق .

وقال أحدهم : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء .

ولما فُتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قال بعضهم : ابتلينا بفتنة السراء فصبرنا ، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر .

قال الإمام الغزالي : « وإنما كان الصبر على السراء أشد ، لأنه مقرون بالقدرة ، ومن العصمة ألا تقدر . . والجائع عند غيبة الطعام ، أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها ، فلهذا عظمت فتنة السراء . » ^(١)

ولهذا حذر الله عباده من فتنة الأموال والأولاد والأزواج وشهوات الدنيا جمعاء ، فى مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (التغابن: ١٥) ، ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٩) ، ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٧٠ .

وَالْقَنْطَرِ الْمَقْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ
ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَاءِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ
ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ (آل عمران: ١٤، ١٥) ، ووصف الله
هؤلاء الذين اتقوا من عباده فقال : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران: ١٧).

قال الغزالي : « فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية . ومعنى الصبر عليها :
ألا يركن إليها ، ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده ، وعسى أن يسترجع على القرب ،
وألا يرسل نفسه فى الفرح بها ، ولا ينهمك فى التمتع واللذة واللهو واللعب ، وأن
يرعى حقوق الله فى ماله بالإنفاق ، وفى بدنه ببذل المعونة ، وفى لسانه بالصدق ،
وكذلك فى سائر ما أنعم الله به عليه »^(١).

(ب) وثمت مجال آخر للصبر عن الدنيا وزينتها . إنه الصبر عن التطلع إلى دنيا
الآخرين ، والاعتراض بما ينعمون به من مال وبنين . وبخاصة الطغاة المغرورون منهم .
فإن ما بأيديهم إنما ظاهره نعمة وباطنه نقمة : ﴿ أَتَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ
وَبَنِينَ ﴿١٦﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٥٦، ٥٥) ، وفى هذا خاطب
الله رسوله بقوله : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ ۚ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (طه: ١٣١).

فالمؤمن حقاً هو الذى يعتز بما آتاه الله من نعمة الهداية إلى الإيمان ، والتوفيق إلى
الطاعة ، ويعلم أن المال ظل زائل ، وعارية مستردة ، ولا يُبالى بمظاهر الأبهة والزينة
التي يتمتع بها أصحاب الثروة والسلطان . وهذا ما وصف به القرآن أهل البصيرة من
قوم موسى ، الذين خرج عليهم قارون فى زينته وفخامة موكبه ، فقال الذين يريدون
الحياة الدنيا فى تمن وتحسر : ﴿ يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ ﴾ (القصص: ٧٩).

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٦٩ .

أما موقف أهل العلم والإيمان وذوى البصيرة والصبر ، فهو ما ذكره القرآن :
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَلَا يُلقَئَهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (القصص: ٨٠).

(ج) ونجد كذلك الصبر عن الاستجابة لداعى الشهوة ، وبخاصة الشهوة الجنسية
العاتية ، التى اعترف الإسلام بقوتها ، وضعف الإنسان أمامها ، إذ شرع له النكاح ،
وأباح له أن يتزوج الإماء (الجوارى) المؤمنات ، إذا لم يستطع أن يتزوج الحرائر .
وقال فى ختام هذا السياق : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخَفَّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾

(النساء: ٢٨)

ورغم إباحة زواج الإماء المؤمنات هنا نجد القرآن يحث على الصبر عنه لما وراءه
من رق الولد . فيقول : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ أَلْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النساء: ٢٥).

فالصبر هنا صبر عن الاستجابة لداعى الشهوة مع أنها مباحة ، فكيف إذا كانت
محرمّة ؟

هنا يكون الصبر حتماً لازماً ، والاستعفاف فرضاً قاطعاً ، كما قال تعالى :
﴿ وَلَيْسَتَعَفِى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (النور: ٣٣)

وخير من يمثل هذا النوع من الصبر فى القرآن هو يوسف الصديق عليه السلام
الذى راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وغلّقت الأبواب وقالت : هيت لك . قال : معاذ
الله ! وسنعرض لموقفه فيما بعد بتفصيل .

(د) وهنا نجد كذلك الصبر عن الاستجابة لداعى الغضب ، ومقابلة السيئة بمثلها ،
أو بأكثر منها ، بأن يكيل للمعتدى الصاع صاعين ، ويرد له الضربة ضربتين ، والشتمة
شتمتين . وهذا هو الذى جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ
بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (النحل: ١٢٦) ، وقوله : ﴿ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ
ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (النحل: ١٢٦) ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ

وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٤﴾ (الشورى: ٤١-٤٣).

ويمثل هذا النوع من الصبر فى القرآن خير ابنى آدم الذى هدده أخوه بالقتل ، فكان رده الحاسم البين : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِكَ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٨).

٣- الصبر على طاعة الله

وهذا مجال ثالث للصبر ، وهو الصبر على طاعة الله تعالى ، والقيام بواجب العبودية له سبحانه . وفيه جاء قوله جل شأنه خطاباً لرسوله : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (مريم: ٦٥) ؟ ، وقوله أيضاً : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۚ لَنُخْزِنَ نَزْرُقَكَ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه: ١٣٢).

وقد استخدم القرآن هنا صيغة الافتعال من الصبر « اصطبر » مكان الصيغة المعتادة « اصبر » لأن الافتعال يدل على المبالغة فى الفعل ، فزيادة المبنى تدل فى العادة على زيادة المعنى . وما ذاك إلا لأن الطريق إلى طاعة الله مليئة بالمعوقات من داخل النفس ومن خارجها . وفيها يقول الشاعر الصالح :

إني ابتليت بأربع يرمينى - بالنبل عن قوس له توتير
إبليس والدنيا ونفسى والورى - يا رب أنت على الخلاص قدير

وتمت معنى نفسى عميق الأغوار ، بجعل طاعة الله وعبادته صعبة على نفس الإنسان ، وقد نبّه على هذا المعنى الإمام الغزالى فى إحيائه فقال : « الصبر على الطاعة شديد ، لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية ، ولذلك قال بعض العارفين : ما من نفس إلا وهى مضمرة ما أظهر فرعون من قوله : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤) ولكن فرعون وجد له مجالاً وقبولاً فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه . وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو

تحت قهره وطاعته ، وإن كان ممتنعاً من إظهاره ، فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ، ليس يصدر إلا عن إضرار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء .

فإن العبودية شاقة على النفس مطلقاً ، ثم من العبادات ما يُكره بسبب الكسل كالصلاة ، ومنها ما يُكره بسبب البخل كالزكاة ، ومنها ما يُكره بسببها جميعاً كالحج والجهاد . فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد .

ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال :

الأولى : قبل الطاعة ، وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات ، وعقد العزم على الإخلاص والوفاء . وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس . وقد نبه صلوات الله عليه إذ قال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة: ٥) ، ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (هود: ١١)

الحالة الثانية : حالة العمل ، كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ، ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضاً من شدائد الصبر ، ولعله المراد بقوله تعالى : ﴿ نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) ، أي صبروا إلى تمام العمل .

الحالة الثالثة : بعد الفراغ من العمل ، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء ، والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يُبطل عمله ويحبط أثره ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٣) ، وكما قال تعالى : ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (البقرة: ٢٦٤) فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله .

والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل ، وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعاً ، وقد جمعهما الله تعالى في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (النحل: ٩٠) فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو النفل ، وإيتاء ذى القربى والمروءة وصلة الرحم ، وكل ذلك يحتاج إلى صبر ^(١) .

وأبرز من يُمثّل هذا النوع من الصبر فى القرآن : الخليل إبراهيم ، وابنه الذبيح إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، وذلك حين جاء إبراهيم الوحى فى الرؤيا بذبح ابنه ، فلم يتلكأ فى طاعة الأمر ، وعرض على ابنه فلم يتردد ، وأسلم الوالد ولده ، وأسلم الولد عنقه ، طاعة لله تعالى ، كما سنفصل ذلك بعد .

٤- الصبر على مشاق الدعوة إلى الله

وهذا مجال رابع لخلق الصبر فى القرآن ، وهو الصبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى ، وما يحف بها من متاعب وآلام ، تنوء بها الظهور ، وتضعف عن حملها الكواهل إلا من رحم الله . وذلك أن أصحاب الدعوة إلى الله يطلبون إلى الناس أن يتحرروا من أهوائهم وأوهامهم وموروثاتهم ومألوفاتهم ، ويثوروا على شهوات أنفسهم ، ومعبودات آبائهم ، وعادات أقوامهم ، وامتيازات طبقاتهم ، وينزلوا عن بعض ما يملكون إلى إخوانهم ، ويقفوا عند حدود الله فيما أمر ونهى ، وأحلّ وحرم ، وأكثر الناس لا يؤمنون بهذه الدعوة الجديدة فلهذا يقاومونها بكل قوة ، ويحاربون دعائها بكل سلاح ، مدلين بأنهم أكثر مالاً ، وأعز نفراً ، وأقوى نفوذاً ، وأوسع سلطاناً .

فليس أمام دعاة الحق إلا أن يعتصموا باليقين ، ويتسلحوا بالصبر فى وجه القوة الضارية ، والسلطة الطاغية . فالصبر هنا - كما قال الإمام على : سيف لا ينبو ، ومطية لا تكبو ، وضياء لا يخبو ، وكما جاء فى الحديث الصحيح : « الصبر ضياء » .

وهذا هو السر فى اقتران التواصى بالصبر بالتواصى بالحق فى سورة العصر : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾ (العصر: ٢، ٣) فلا بقاء للحق بغير صبر .

(١) إحياء علوم الدين ج٤ .

وهو السر فيما ذكره الله على لسان لقمان الحكيم حيث وصى ابنه بالصبر على ما يصيبه من بلاء وأذى عقب وصيته له بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال الله تعالى على لسانه : ﴿ يَبْنِيْٓ أَقْرِبَ الصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَآتَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِ ﴾ (لقمان: ١٧).

كأنه يقول له : ما دمت تدعو الناس إلى الخير ، وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر ، فوطن نفسك على احتمال المكاره منهم ، وتقبل الأذى من جهتهم فهم خصوم لمن يأمرهم بالمعروف ، لأنه ثقیل عليهم ، وينهاهم عن المنكر ، لأنه محبب إليهم . ومشاق الدعوة إلى الله تتمثل في صور شتى ، وقد ذكر القرآن منها أنواعاً وأمثلة :

(أ) تتمثل في إغراض الخلق عن الداعية . فليس أشق على نفس صاحب الدعوة أن يدعوا بملء فيه ، ويصيح بأعلى صوته ، بشيراً ونذيراً ، فلا يجد إلا آذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً !

رأينا ذلك مع نوح عليه السلام ، حيث قال مناجياً ربه : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيْٓءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (نوح: ٥-٧).

ورأينا ذلك مع هود عليه السلام حين قال له قومه : ﴿ يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيْ ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (هود: ٥٣).

ورأينا ذلك مع خاتم الرسل محمد ﷺ ، حيث وصف الله حال قومه معه فقال : ﴿ حَمَّ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۖ كَتَبْتُ فَصْلَتَ ءَايَتِهِ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ۖ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَ ۖ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُوْنَ ﴾ (فصلت: ١-٥).

ولهذا قال الله لرسوله : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللّٰهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ١٢٧)

وأوضح من يمثل هذا النوع من الصبر : نوح عليه السلام ، حيث لقي الإعراض والصد ما لم يلقه نبي بعده .

(ب) وتتمثل متاعب الدعوة فى أذى الناس بالقول أو الفعل . فليس أشد على نفس الرجل المخلص فى دعوته ، البرىء من الهوى ، المحب لخير الناس ، من أن يمحض لهم النصيح ، فيتهموه بما ليس فيه ، وأن يدعوهم إلى سبيل ربه بالحكمة فيردوه بالقوة ، ويعظمهم بالحسنى ، فيستقبلوه بالسوأى ، ويجادلهم بالتى هى أحسن ، فيقاوموه بالتى هى أخشن ، ويدلهم على الخير ، فيقذفوه بالشر ، ويصدع فيهم بكلمة الحق ، فلا يسمع منهم إلا كلمة الباطل .

وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد ، فكثيراً ما يمتد الطغيان إلى الأموال فينهبها ، وإلى الأبدان فيعذبها ، وإلى الحريات فيسلبها ، والحرمان فينتهكها ، بل إلى الأنفس فيقتلها ، حتى الأرض التى نبتوا منها ، وشبوا عليها ، ونشأوا فى أحضانها ، هم وآباؤهم وأجدادهم يُخرجون منها إخراجاً .

وهذا ما أقسم القرآن على وقوعه للداعين إلى الله ، حيث خاطب بذلك المؤمنين ليوطنوا أنفسهم على الصبر الطويل فقال : ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (آل عمران: ١٨٦) .

ومن هنا أمر الله رسوله أن يصبر على إيذاء قومه بمثل قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل: ١٠) .

والأنبياء جميعاً يمثلون هذا النوع من الصبر . ولهذا حكى الله على لسانهم هذا القول رداً على أقوامهم : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم: ١٢) .

وعزى الله خاتم رسله بما حدث لإخوانه من قبله فقال : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾

(الأنعام: ٣٤)

ومن أتباع الرسل ذكر لنا القرآن هنا مثلاً رائعاً يتجلى فى سحرة فرعون ، حين وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فأعلنوا إيمانهم برب موسى وهارون . وعندها قال لهم فرعون : ﴿ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣، ١٢٤) .

فماذا كان موقف السحرة إزاء هذا الوعيد الهادر من ملك جبار يقول للناس : أنا ربكم الأعلى ؟

لقد وقفوا بإيمانهم الجديد كالجبال الشم ، متحددين جبوت فرعون ، مستعدين لكل ما يرغى به ويزيد ، سائلين الله تعالى أن يفرغ عليهم صبراً يتحملون به العذاب راضين ، ويستقبلون به المكاره مطمئنين .

ومن هنا قالوا : ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِءَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٥، ١٢٦) .

(جـ) وتتمثل مشاق الدعوة كذلك فى صورة أخرى هى طول الطريق ، واستبطاء النصر ، فقد جعل الله العاقبة للمتقين ، وكتب النصر لدعاة الحق من رسله وأتباعهم وورثتهم المؤمنين . ولكن هذا النصر لا يتحقق بين عشية وضحاها ، ولا تشرق شمسهُ إلا بعد ليل طويل حالك من الشدائد والمحن المتعاقبة ، تزيغ لهولها الأبصار ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ويظن الناس بالله الظنون ، هنالك يُبتلى المؤمنون ويزلزلون زلزالاً شديداً ، كما صور القرآن الحالة النفسية للمسلمين فى غزوة الأحزاب .

وكم أكد القرآن هذه الحقيقة فى أكثر من موضع ، وبأكثر من أسلوب ، فهو يخاطب المؤمنين فيقول : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهَ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ٢١٤) .

يقولون متى نصر الله ؟ استبطاءً له ، واستعجالاً لمجيئه ، فيجىء معه الغوث للملهوف ، والفرج للمكروب .

ويقول جل شأنه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف: ١١٠).

٥- الصبر حين البأس

ومجال آخر يذكره القرآن للصبر هو الصبر حين البأس ، أى الصبر فى الحرب حين لقاء الأعداء ، حيث يصبح الفرار كبيرة موبقة ، ويصبح الثبات فريضة لازمة . فالصبر هنا شرط أساسى للنصر ، وعنصر ضرورى للغلبة على العدو ، وقديماً قالوا : الشجاعة صبر ساعة . ومن هنا أثنى القرآن على الصابرين فى آية البر ، فقال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ (أى الفقر) وَالضَّرَاءِ (أى المرض) وَحِينَ الْبَأْسِ (أى الحرب) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ (البقرة: ١٧٧).

وفى سورة الأنفال وهى السورة التى نزلت بعد غزوة بدر الكبرى يقول تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال: ٤٥-٤٧) . فوضع ستة شروط أولها : الثبات . وخامسها : الصبر ، وهما من باب واحد ، فلا ثبات بغير صبر .

ويؤكد القرآن الأمر بالصبر بهذه الفاصلة التى ختمت بها الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ليغري الأنفس به ، ويثبت القلوب عليه .

وفى نفس السورة يربط القرآن بين الصبر فى القتال والغلبة على العدو ، فيقول : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۖ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۖ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ أَلَمْ يَخَفْ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۖ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٦٥، ٦٦).

وأعظم ما تشدد به الحاجة إلى الصبر فى الحرب عندما ينفرط العقد ، وتميل
الريح ويضطرب الأمر ، وتشيع روح الهزيمة فى المقاتلين ، وتنتشر الشائعات المثبطة
للهم ، المحطمة للعزائم ، كما حدث فى غزوة أحد ، بعد أن أخلى الرماة أماكنهم
فانكشف جيش المسلمين ، وانقض عليهم فرسان المشركين من الخلف ، فاضطرب
الميزان ، وانتشر الذعر ، وشاعت الشائعات بأن رسول الله ﷺ قد قُتل ، فأوهن ذلك
صفوف المسلمين وفت فى أعضادهم ، وزلزل روحهم المعنوية ، ففر الأكثرون وبقي
الأقلون ، وهنا نزل القرآن يشيد بالذين ثبتوا وصبروا وينكر على الذين تولوا وأدبروا :
﴿ أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ
الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٢، ١٤٣) ولا يجعل لهم عذراً فى الفرار من المعركة ، ولو كان قد صح
ما أشيع أن الرسول قد قُتل ، يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

إلى أن يقول : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

إن خير من يمثل هذا النوع من الصبر فى القرآن : طالوت والقلة المؤمنة معه من
جنوده ، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، على عدد أهل بدر . ولقد عقد طالوت
لجنوده امتحاناً فى بادئ الأمر ليختبر صبرهم ، فقال لهم : ﴿ إِنْ أَلَّاهُ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ
فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

هذه القلة التى نفذت الأمر ، وأبت أن تشرب الماء وهى ظمأى إلا غرفة باليد ،
هى التى نجحت فى الامتحان ، وتبين صبرها عند الشدة . وهى التى اجتازت النهر
مع طالوت : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا بِاللَّهِ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ إِذَنْ أَمَرَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٦٨) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٤٩﴾ ،
 (٢٥٠). طلبوا أولاً أن يمنحهم الله الصبر ، لأنه سبيل النصر . ومن روعة التعبير هنا
 أنهم لم يسألوا الله أى قدر من الصبر ، بل سألوه أن يُفرغه عليهم إفراغاً ، أى يصبّه
 عليهم صباً ، كأنه ماء يُفرغ عليهم ليتطهروا به ويغتسلوا .

وكانت العقاب انتصار القلة المؤمنة الصابرة على الكثرة الطاغية الكافرة :
 ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ (البقرة: ٢٥١) .

٦- الصبر فى مجال العلاقات الإنسانية

وهذا مجال سادس من مجالات الصبر فى القرآن ، وهو مجال الآداب والعلاقات
 الاجتماعية بين الناس .

فالعلاقات الزوجية لا تستقيم ولا تستقر إلا بأن يكون الزوجان واقعيين يصبر كل
 منهما على صاحبه ، ويحتمل منه بعض ما لا يروقه ، بل بعض ما يؤذيه .

فالحياة تختلط فيها الأشواك بالأزهار ، وتمتزج فيها الآلام بالملذات ، وكل إنسان
 فيه ما يمدح وما يذم ، ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها ؟

بل أمر القرآن الرجال بالصبر وإن أحس أحدهم بالنفرة والكراهية فى نفسه قبل
 زوجه ، مقدِّماً العقل على العاطفة ، والانقياد للأخلاق على اتباع الهوى .

وفى هذا يقول القرآن فى معاملة الأزواج للنساء : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ
 كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَنَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٩) .

وجاء الحديث النبوى الشريف يؤكد هذا المعنى القرآنى إذ قال : « لا يفرك (أى
 يبيغض) مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خلُقاً رضى منها آخر » (رواه أحمد ومسلم) .

وهذا النوع من الصبر مطلوب فى علاقة الآباء مع أبنائهم ، والأبناء مع آبائهم ،
 والأقارب مع أقاربهم ، والجيران مع جيرانهم ، فقد قال علماؤنا : « إن حق الجار ليس
 هو مجرد كف الأذى عنه ، بل احتمال الأذى منه والصبر عليه » .

ويدخل فى هذا إلجام النفس بلجام الحلم ، وكفها عن الاستجابة لثورة الغضب ودواعى الانفعال ، والحرص على دفع السيئة بالحسنة بل التى هى أحسن - كما أوصى القرآن - فيحيل هذا السلوك الجميل العدو إلى صديق ، فيكسب إلى صفه قلباً محباً ، بدل أن يضيف إلى أعدائه واحداً .

يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٦ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الذِّينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٧ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٨ ﴾ (فصلت: ٣٦-٣٨).

ويعدّد القرآن أوصاف أولى الأبواب الذين يستحقون عُقى الدار ، أى الجنة ، فيقول : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٢ ﴾ (الرعد: ٢٢).

إن فرق ما بين الإنسان المتحضر وغيره ، أنه يقدر على ضبط نفسه ، والتحكم فى عواطفه وانفعاله ، وتوجيه سلوكه وعلاقاته الوجهة الإنسانية التى ترضى الأذواق الراقية والآداب الرفيعة ، ولا تجرح إحساس أحد أو تؤذيه بغير موجب .

وهذا ما يَصَوِّرُهُ لنا القرآن إذ عرض علينا صورة أولئك الجُفَاء من أعراب البادية الذين جاءوا إلى حجرات أزواج النبی - أمهات المؤمنين - ينادون بأصوات جاهرة ، وجلافة ظاهرة : اخرج إلينا يا محمد . غير مراعين ما تقتضيه اللياقة والأدب فى معاملة شخصية مثل شخصية الرسول الكريم ، لها مقامها ومشاغلها وأعباؤها . ولا غرو أن نزل القرآن يُنَدِّد بهذا المسلك الفج الجافى ، وإن قَدَّر ظروف بداوتهم ، وأعلن العفو والمغفرة عنهم فى النهاية ، وفى هذا يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٥٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٥ ﴾ (الحجرات: ٥٤، ٥٥).

وفى هذا المجال من مجالات الصبر يمكننا أن ندخل صبر التلميذ مع أستاذه ،
والتزامه بما عقد من شرط ، وإن حجز عنه بعض المعلومات أو الحقائق ، لحكمة
يراهها ، وخصوصاً إذا صاحبه على هذا الشرط ، فالمؤمنون عند شروطهم .

وفى هذا ذكر القرآن قصة موسى والعبد الصالح الذى لقيه موسى مع فتاه :
﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٧٥) قَالَ
لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا ﴿٧٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ
ذِكْرًا ﴿٨٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ
جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٨١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي
بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٨٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ
أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٨٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ
لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٨٦﴾ (الكهف: ٦٥-٧٦).

فقد طلب موسى من العبد الصالح المشهور باسم الخضر ، أن يصحبه ليعلمه مما
علمه الله ، فذكر له أنه لن يستطيع صبراً على متابعته ، وعلل هذا بأمر ينبع من دافع
فطرى أصيل فى الإنسان ، وهو حب الاستطلاع والرغبة فى استكشاف المجهول ،
ولهذا قال لموسى : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ ؟ ! (الكهف: ٦٨) .

ولكن موسى قبل مصاحبته مؤكداً له أنه سيصبر على ما يراه منه ، وإن لم يحط به
خُبْرًا ، ولم يدرك له سرّاً : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾

(الكهف: ٦٩)

ولكن موسى - عليه السلام - يرى من الخضر من المواقف والتصرفات
ما لا يملك معه السكوت والصبر فيعترض مرة بعد مرة ، منكرًا عليه ما صنع ،

مخالفاً ما وعد به من الصبر . والخضر يُذكره بذلك كلما أبدى اعتراضاً . ففي أول إنكار له قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٢) ، وفي المرة الثانية قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٥) ؟

أما في المرة الثالثة فكانت الفاصلة . وهنا قال العبد الصالح : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٨) ، ويأخذ في تأويل الحوادث الثلاث إلى أن يقول في نهايتها : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

(الكهف: ٨٢)

* * *